مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709
07/07/2021

أصول الكتابة العربية بين الوثائق التاريخية والاكتشافات الأثرية

The origins of Arabic writing between historical documents and archaeological discoveries

الاسم الكامل للباحث: رضا خوشي

العنوان: جامعة الجزائر – كلية العلوم الإسلامية الخروبة –

contact@univ_alger.dz

المرتبة العلمية: أستاذ ثانوي

redhakhouchi1@gmail.com

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709
07/07/2021

الملخص:

إن معرفتنا بأصول الكتابات والخطوط الضاربة في أعماق التاريخ لا تزال يكتنفها الكثير من الغموض، بل تظل النظريات تتضارب وتتجدد مع النهضة العلمية التي لم تعرف لها البشرية مثيل.

لذا كان هذا البحث محاولة جادة لتقريب الآراء حول أصول الكتابة العربية وخطوطها، ومكان ظهورها أول مرة، ومن هم واضعو رموز تلك الكتابة، وإبطال ما ضعف من تلك الآراء استنادا إلى ما اكتشف منذ مطلع القرنين الماضيين، حيث أعيد قراءة ما كتب مقارنة مع تلك الأثريات.

وتوصل البحث في خاتمته إلى جملة من النتائج أهمها أن الكتابة العربية من الصنائع البشرية وليست توقيفا إلهي، وأن اشتقاقها يعود إلى احتمالين: الخط الأنباطي أو الخط اليمني (المسند). كما انتهى البحث إلى أن الخط العربي شهد تطورا كبيرا حتى لا تكاد تميزه عن صورته الأولى، ومن هنا فهو يقبل التجديد مرة أخرى من حذف الصعب في الكتابة وما لا يخدم التواصل اللغوي كزيادة الحروف وكتابة ما لا يلفظ وتعدد صور الحرف الواحد كالهمزة؛ إذا توفرت السواعد الكفء والإرادات السياسية، والتمويل الكافي للمخابر العلمية.

Abstat:

Our knowledge of the origins of writings and striking lines in the depths of history is still shrouded in many mysteries, but the theories remain in conflict and renewed with the scientific renaissance that humanity has never known before.Therefore, this research was a serious attempt to converge opinions about the origins of the Arabic writing and its scripts, the place of its appearance for the first time, and who were the authors of that writing, and nullifying the weakening of those opinions based on what was discovered since the beginning of the last two centuries, as I re-read what was written in comparison with those antiquities .

In its conclusion, the research reached a set of results, the most important of which is that Arabic writing is a human artifact and not a divine pause, and that its derivation is due to two possibilities: the Nabati script or the Yemeni script (the Musnad). The research also concluded that the Arabic calligraphy has

witnessed a great development so that it can hardly distinguish it from its first form, and from here it accepts renewal once again from deleting the difficult in writing and what does not serve linguistic communication such as increasing letters and writing what is not pronounced and the multiplicity of forms of a single letter such as Hamza If there are efficient forearms and political will, and sufficient funding for scientific laboratories.

المقدمة:

أهمية الموضوع: تمثل الكتابة موروثا إنسانيا يعبر عن ذات الأمم والحضارات؛ فهي وسيلة التواصل بين أجيالها، وتخليد مآثرها، فلا يخلو اليوم مجتمع من هذه الوسيلة مهما كانت درجة تحضره؛ لأنها أصبحت حتمية اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها، وإن اختلفت صورها من الورقية إلى الاكترونية. والكتابة العربية لا تشذ عن هذه القاعدة؛ نظرا إلى أن جذورها الأولى ضاربة في عمق التاريخ؛ فهي من باب الأولى أن تسود المشهد الحضاري، وتجد لنفسها مكانة بين هذا الزخم المتلاطم من الصور الحضارية المتسارعة.

ولفهم أصول الكتابة العربية والمراحل والمحطات التي مرت بها حتى أخذت صورتها النهائية، جاء هذا البحث ليعيد قراءة ما كتب وما اكتشف من آثار، والمقارنة بينهما بغية تضييق نطاق الخلاف بينهما؛ وذلك بإبطال ما كان ضعيفا لا يستند إلى دليل مادي وعقلي، وإثبات الصحيح الذي يشهد له الواقع الأثري المكتشف.

إشكالية الموضوع: لقد حاول البحث معالجة إشكالية هامة تمثلت في الكشف عن أصل الكتابة العربية التي تعود إليه، وما تفرع عنها من إشكاليات ثانوية كمكان ميلاده هذه الكتابة، وأول من خطّ بها. وللإجابة عن الإشكاليات السابقة كان لزاما تأطير ذلك بمجموعة من التساؤلات التالية: فهل الكتابة العربية كغيرها من الكتابات من الصنائع البشرية أم هي توقيف بتعليم إلهي ؟ فإذا كانت صنيعة بشرية فهل هي اصطلاح لأقوام أو اشتقاق من كتابات سابقة ؟ وهل للعرب الساميين دور في إبداعها ؟ أم هم تعلموها من أقوام ؟

فرضيات البحث: من هنا وضعنا فرضيات نحاول تأكيدها وإثبات صحتها من خلال هذا البحث: ضعف الأسانيد التي نقلت توقيفية الكتابة العربية، اشتقاق الكتابة العربية من كتابة النبط.

أهداف البحث: لقد حدد البحث أهدافا معينة ودقيقة، وجب الوصول إليها، وتعطي للقارئ صورة واضحة تمكنه من الوقوف على تاريخ أعرق الكتابات السامية وهي العربية. ويمكن أن نلخصها في ما يلي:

. حصر جميع الآراء المطروحة في الساحة العلمية حول أصل الكتابة العربية.

. إبطال الآراء التي لا تستند إلى دليل نقلي صحيح أو دليل أثري مكتشف ومدروس.

. المقارنة والموازنة بين كل ما اكتشف وتمّ قراءته ومدى مشابهته للصورة النهائية للكتابة العربية المتادولة.

. دور العرب في وضع الكتابة العربية.

منهج البحث: وللوصول إلى كل ما سبق احتاج البحث لإتباع المنهج الوصفي والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائي، وبدرجة أقل المنهج الإحصائي. بالإضافة إلى اعتماده على الكثير من الدراسات سواء كانت مصادر أو مراجع أو مقالات علمية أو مجلات دورية.

1 أصول الكتابة العربية في الوثائق التاريخية:

إن الحديث في أصل الكتابة العربية من الموضوعات التي لا تزال تسيل الكثير من الحبر، ولا يزال الجدل حولها مستمرا إلى يومنا، ولم تتبلور الأفكار عنها في الدراسات الحديثة؛ فالاهتمام بها من طرف المحدثين جاء متأخرا؛ بخلاف المصادر القديمة حيث نجد لها رصدا مبكرا في مؤلفات خاصة أو في المؤلفات التقليدية الأدبية منها والتاريخية منذ القرن الثاني الهجري. لقد اختلفت الآراء في أصل الكتابة العربية، فتعددت مذاهب القدامى والمحدثين، واختلفت أقوالهم ولم تستقر. يقول العالم المستشرق درنكير: " يبقى أصل الكتابة العربية الدقيق وتاريخها المبكر غامضا " (DRINGER, 1965, p. 162).

ويمكن أن نلخص هذه الآراء اعتمادا على المصادر العربية التي تعتبر رائدا في الموضوع في ثلاثة اتجاهات: نظرية التوقيف، نظرية الاختراع، نظرية الاشتقاق.

1.1 نظرية التوقيف:

يرى كثير من اللغويين القدامى أن وضع الكتابة كان بوحي من الله عز وجل، أو بتعليم منه. فأول من خط بالقلم آدم عليه السلام كتب الأسماء التي تعلمها من الله تعالى بالكتابة العربية وغيرها. ويتزعم هذا المذهب اللغوي الكبير أحمد بن فارس. يقول ابن فارس: " أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين ثم طبخه فلما أصاب الأرض الغرق، وجد كل قوم كتابا فكتبوه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي " (بن فارس، 1910 م، صفحة 7). ثم يجزم بتوقيفية الكتابة العربية مستدلا بالقرآن الكريم، فيقول: " والذي نقول فيه: إن الخط توقيف؛ وذلك لظاهر قوله عز وجل: " إقرأ باسم ربك الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق

(2) إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم (3) علم الإنسان ما لم يعلم (4) ". (ابن فارس، 1910 م، صفحة 11). وهناك رأي يميل إلى أن الخط من وضع إدريس عليه السلام (ابن النديم، 1978 م، صفحة 7).

والقول بالتوقيف تناقله معظم الإخباريين والرواة العرب في نشأة الكتابة العربية (ذنون، 1986 م، صفحة 08) . إلا أنه لقي رفضا ومعارضة شديدين من بعض القدامى وعلى رأسهم ابن خلدون الذي اعتبر الكتابة من الإبداع البشري، وسماها ضرورة اجتماعية وضعها الإنسان، وجعلها المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية (عباس حمودة، 2000 م، صفحة 62). واعتبره أهل اللغة المحدثين ضربا من الخرافة والخيال خاصة في ظل الاكتشافات الأثرية المستجدة (ولفنسون، 1980 م، صفحة 199).

1.2 نظرية الاصطلاح: ويتفرع منها نظريتان فرعيتان: نظرية الاختراع ونظرية الاشتقاق.

1.2.1 نظرية الاختراع:

وهي نقيضة نظرية التوقيف؛ فهي تنسب الكتابة العربية إلى وضع أشخاص، وإن اختلفت في تعيين أسمائهم اختلافا متباينا. فالبعض يقول أنهم ملوك مدين، وضعوا الحروف على أسمائهم: أبو جاد، هوز، حطي، كلمون، صعفض، قريسات. وما لم يوجد في أسمائهم من الحروف المتبقية أطلقوا عليها الروادف (الصولي، 1341 هـ، صفحة 29). والقول الثاني أنهم ثلاثة نفر من قبيلة طيء وبالضبط من بولان؛ وهم: مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة. (عبد الله، 1973 م، صفحة 43). وأضعف الأقوال في المسألة من ذهب أنهم أولاد إسماعيل: نفيس، وتيم، ودومة، ونصر (ابن خلدون، ب ت، صفحة 463).

1.2.2 نظرية الاشتقاق:

وتنص على أن الكتابة العربية هي تطور لكتابة سابقة وجدت؛ وهي أصلها التي منها أخذت صورتها الحالية بعد طروّ التغيير والتعديل والتحسين. وهذه النظرية هي أقرب إلى الواقع من سابقتيها؛ نظرا لتوافقها مع ما اكتشف من آثار تحمل كتابات تثبت هذا الاشتقاق. وإنما وقع الخلاف في الكتابات التي منها اشتقت العربية على أقوال أصحها ما يلي:

1.2.2.1الاشتقاق من الحِمْيرية:

يتلخص مفهوم هذه النظرية، ومفادها أن الكتابة العربية اشتقت من الخط المسند؛ وهو قلم عرب الجنوب في حمير. ومن المعروف أنه كان في جنوب الجزيرة خط قديم ينتمي إلى ما سمي بالكتابة

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709

الحرفية، ويعد نظيراً لتلك الأنواع من الكتابات القديمة مثل الكتابة الهيروغرافية في مصر عند الفراعنة والسينائية المكتشفة في سيناء مصر وغيرها. والكتابة العربية هو تطور حديث مس ذلك الخط القديم اليمني المسند أطلقوا عليه خط "الجزم" (AZIZA, 1972).

وقد ذكر هذا الرأي وأشار إليه كثير من القدامى، فمن القدامي ابن جنى الذي يقول: " واعلم أن العرب قد سمّت هذا الخط المؤلف من هذه الحروف" الجزم". قال أبو حاتم. قال: إنما سمي جزماً لأنه جزم من المسند أي أخذ منه.قال: والمسند خط حمير في أيام ملكهم، وهو في أيديهم إلى اليوم في اليمن.فمعنى جزم أي قطع منه وولد عنه. ومنه جزم الإعراب؛ لأنه اقتطاع الحرف عن الحركة ومد الصوت بها للإعراب" (ابن جني، 1985 م، صفحة ص 145).

وممن تناولوا هذه النظرية المؤرخ ابن خلدون، الذي عرض هذا الرأي و علل له، وأبان مسار ذلك الخط من مصدره القديم إلى موطنه الحديث، ومركزه الذي انتشر منه بعد ذلك إلى كثير من أنحاء الأرض. يقول ابن خلدون: " وقد كان الخط العربي بالغاً مبلغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التتابعة؛ لما بلغت من الحضارة والترف؛ وهو المسمى بالخط الحميري. وانتقل منها إلى الحيرة؛ لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التتابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق. ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة؛ لقصور ما بين الدولتين. وكانت الحضارة من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك. ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش " (ابن خلدون، ب ت، صفحة 418)

و ممن رجح هذا الرأي من القدامى أيضاً الفيروز آبادي الذي يقول: " والجزم: في الخط تسوية الحروف والقلم لا حرف له وهذا الخط المؤلف من حروف المعجم؛ لأنه جزم أي قطع من خط حمير " (الفيروز آبادي، ب ت، صفحة 155). وقد أشار ابن النديم إلى الخط المسند الحميري، وذكر مثالاً لبعض ما اطلع عليه منه، مع أن ابن النديم لم يكن من مؤيدي هذه النظرية بل ذكرها ضمن آراء مختلفة حول مصدر الخط العربي. يقول ابن النديم: " زعم الثقة أنه سمع مشايخ أهل اليمن يقولون: إن حمير كانت تكتب بالمسند على خلاف أشكال ألف وباء وتاء، ورأيت أن جزء من خزانة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أكرمه الله في التراجم، وكان في جملته القلم الحميري، فأثبت مقاله على ما كان في النسخة " (ابن النديم، 1978 م، الصفحات 13-14).

07/07/2021
مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709

ومن المحدثين من قال بهذه النظرية أحمد حسين شرف الدين حيث يقول: " وكانت هذه الأبجدية (أبجدية المسند) هي الأصلية للعرب الشماليين والجنوبيين؛ إلا أن الجنوبيين ظلوا يستخدمونها كما هي حتى قبيل الإسلام؛ كما استخدمها الشماليون حتى القرن الثاني للميلاد، ثم بدأت تتأثر بجارتيها الفينيقية والآرامية. وتأثرت هذه الأبجدية أيضاً بالأبجدية النبطية، التي جاءت حاملة عقيلة وصل الحروف مما غيّر وضعية الحروف تغييراً تاماً " (أحمد حسين، 1975 م، صفحة 37).

الجدول (1) مقابلة بين الخط العربي والخط المسند الحميري

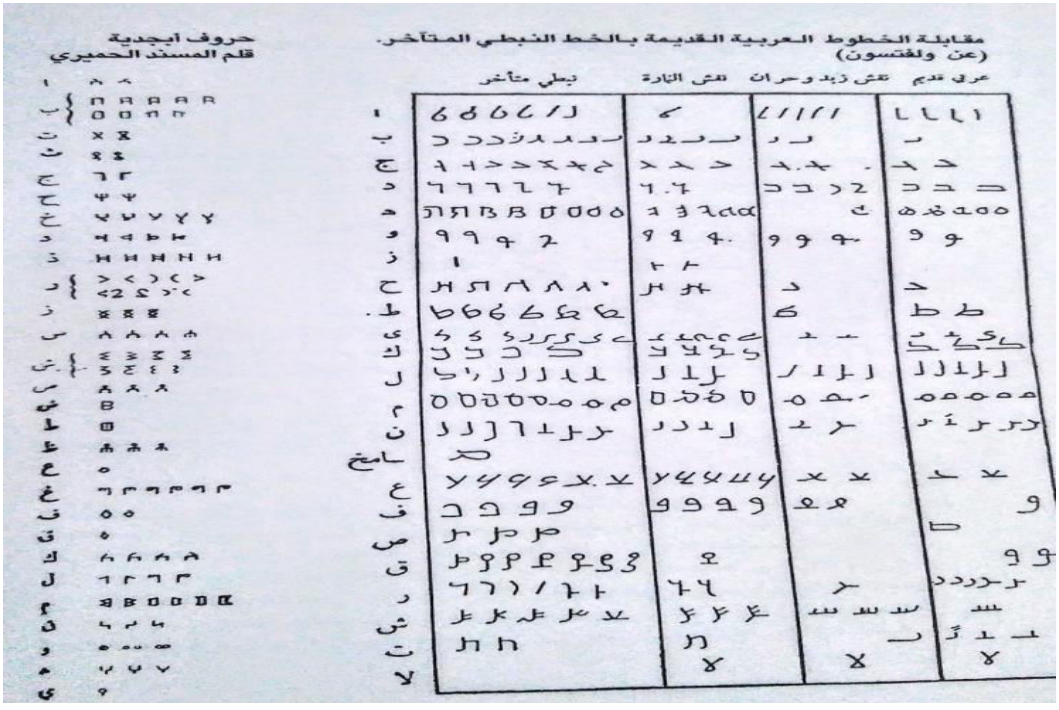

ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 178.

1.2.2.2 الاشتقاق من الحيرية:

مفاده أن الخط العربي قد اشتق من خط الحيرة في اليمن، بعد ما وضعها رجال منها. وقد ذكر هذا الرأي من القدامى البلاذري حيث قال: "حدثني عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن جده وعن الشرقي بن القطامي قال: أجمع ثلاثة نفر من طيء ببقه وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلمه منه قوم من أهل الأنبار، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار، وكان بئر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي، ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين، وكان نصرانياً فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن مناف يكتب، فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء، ثم أراهما الخط فكتبا. ثم إن بشرا وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم، وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر، فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس فسمى عمرو الكاتب. ثم أتى بشر فتعلم الخط منه ناس هناك، وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين أيضاً رجل من طانجة كلب فعلمه رجلاً من أهل وادي القرى فأتى الوادي يتردد فأقام بها، وعلم الخط قوماً من أهلها " (البلاذري، 1957 م، الصفحات 471 – 474). ويسوق أبو داود السجستاني ما يقرب من هذا حين يقول: " عن الشعبي قال: سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمت الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار " (السجستاني، 1405 هـ، صفحة 151).

يقول ولفنسون معقبا على هذه الروايات: " لا شك أن هذه الروايات مشبعة بروح البساطة والسذاجة حتى لتبدو للباحث أقرب إلى الخرافات منها إلى الحقائق التاريخية فليس في استطاعته أن يرتاح إليها أو يعول عليها؛ لأنه لا علاقة للخط الحيري بالخط المسند السبئي " (ولفنسون، 1980 م، صفحة 197). وفي المقابل يدافع حنفي ناصف بك عن هذه النظرية، فيقول: " خالط النبط اليمانيين وجاوروهم كما خالطوا طوائف الآراميين، بل دخلوا تحت حكم اليمانيين في بعض العصور، وكان في أيام دولتهم علاقات تجارية مع أهل اليمن تقتضي مبادلة المكاتبة من الطرفين" (حنفي، صفحة 64). ثم يستدل بدخول الخط إلى الحجاز من اليمن كما دخل من طوائف الآرام في الشمال باتفاق مصادر التاريخ العربية وتظافرها على ذلك. يقول ناصف: " والوجه الثاني أن الروايات العربية متظافرة والكلمة متفقة على أن الخط جاء إلى الحجاز من اليمن، فمصادرة كل هذه الروايات والذهاب إلى أنه لم يجئ للحجاز إلا من طوائف الآرام

دون أهل اليمن مصادمة للتاريخ وجحود للإجماع، ولا يجحد النقل ما لم يدفعه العقل" (حنفي، صفحة 198).

إلا أن الملاحظ على القول السابق تأثر الخط النبطي باليمني، وهو مخالف لما اتفق عليه من أن النبط أخذوا خطهم ولغتهم من الآراميين مباشرة (ولفنسون، 1980 م، صفحة 198).

الجدول (2) مقابلة بين الخط العربي والحيري السبئي

ولفنسون، مصدر سابق، ص 179.

1.2.2.3الاشتقاق من النبطية:

يُرجع أصحاب هذه النظرية أصل الكتابة العربية إلى خط الأنباط الذين استوطنوا شمال الجزيرة العربية في بلاد الشام. والأنباط شعوب عربية كما يذهب إليه كثير من الباحثين والمؤرخين.

فاليونان من الشعوب التي عاصرت وعايشت الأنباط، حيث أقرّ مؤرخوهم بعروبة الأنباط؛ فهم أعلم الناس بهم. فقد ذكر ديودور الصقلي:" أنها كانت توجد في ناحية البطرا، قبائل تعيش عيشة بدوية لا تزرع ولا تحصد " (جرجي، الصفحات 92 – 93). وما ذكره ديودور ينطبق على قبائل العرب؛ لأنهم كانوا أمة بدوية تترفع وتستكبر من الاشتغال بالزراعة، وتزدري من يشتغل بها.

وقد نفى ولفنسون هذا الأمر قطعيا. قال ولفنسون: " أن أرهاط النبط الفاتحين كانوا من الآراميين، ثم بعد استقرارهم في طور سيناء اختلطوا بالعرب فظهرت هناك طبقتان: واحدة آرامية أصيلة وأخرى عربية كثرت عناصرها إلى أن تغلبت بالتدرج عن العناصر الآرامية، ومحتها محواً تاما، وبقيت لغة الحضارة هي اللغة الآرامية التي كانت في تلك العصور لغة العمران عند جميع أمم الشرق الأدنى " (ولفنسون، 1980 م، الصفحات 13 – 70).

وأكد المؤرخون أن الأنباط عندما اختلطوا بالآراميين وأخذوا يتعلمون كتابهم أتى خطهم الآرامي رديئا بعيد كل البعد عن الكتابة الأصلية؛ وذلك لما وجدوه من مشقة في تقليد الحروف وتعلمها؛ نظرا لبداوتهم التي لا تزال تُعيقهم عن اللحاق بركب الحضارة. فاختلفت كتابة الأنباط الأولى عن أصلها الأم الآرامي،ثم توالت أنامل الأجيال النبطية، تحاول تعلم الخط الآرامي ومحاكاته؛ ولكن الذي حدث أن كتاباتهم ابتعدت مع مر الزمن عن الآرامي؛ حتى تميزت عنه وانفصلت، لتستقل عنه أخيرا، وتشتق لنفسها خطا خاصا بها، عرف باسم: الكتابة النبطية (الجبوري، 1977 م، صفحة 51).

مخطط (1) نظرية (1) اشتقاق الخط العربي من النبطي

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709
07/07/2021

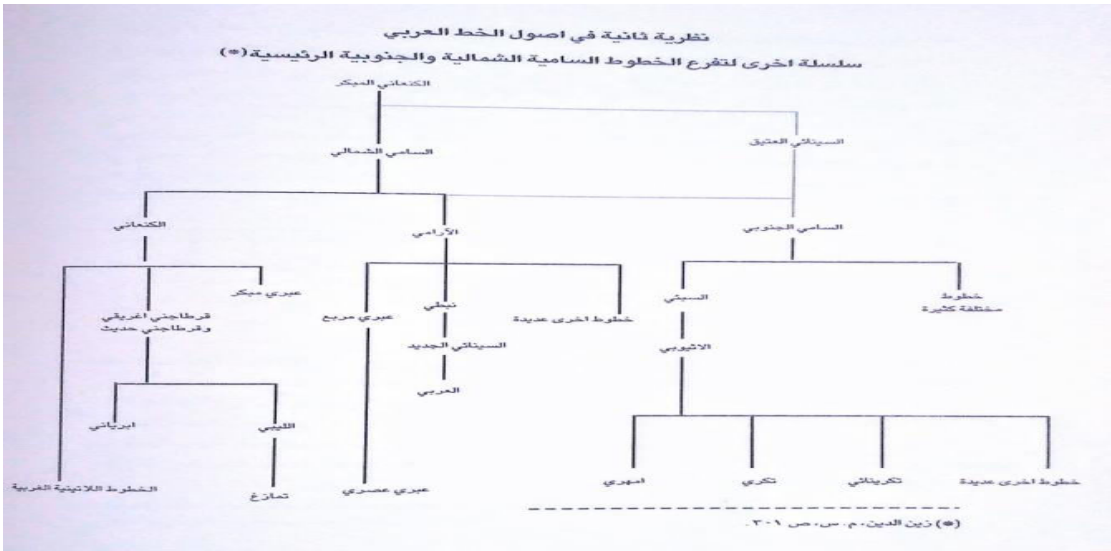

ناجي زين الدين، مصور الخط العربي، ص 301.

وفي القرنين الثالث والرابع الميلاديين أخذت الكتابة النبطية تطور حروفها تطوراً ملفتا، حتى غابت عنها المسحة النبطية، وساد عليها الطابع والنمط العربي. وهكذا انتقل الخط من الأنباط إلى العرب من وجهة نظر الدرس الحديث. أما أدلة العلماء على صحة هذه النظرية فكانت على النحو التالي:

– ترتيب حروف الهجاء وكتابتها عند تعلمها على وفق نمط أبجد هوز في صدر الإسلام، والذي لا يزال يستخدم في الكتاتيب حتى الآن، دليل يشير بنفسه إلى المورد الذي أخذ منه قدماء الكتاب العرب كتابتهم. ولهذا نجد الأحرف الستة التي انفردت بها العربية عن اللغات السامية الأخرى وضعت في آخر سلسلة أبجد مما يدل على أنها متأخرة.

– تعبير الكتاب عن الأرقام بما يقابل ذلك بالحروف فالذين يؤرخون أو يعبرون عن الأرقام بما يقابل الأرقام من حروف مازالوا يسيرون في طريقتهم هذه على طريقة أبجد هوز، أي على طريقة ابن إرم القديمة في الترتيب، واعتبارهم الأرقام في العربية على تلك الطريقة دليل على أنها من بني إرم.

– عروبة هؤلاء الأنباط وبالتالي فإن الأخذ عنهم يعد من أيسر الأمور وأقربها إلى الذهن.

– قرب بلاد النبط من وسط الحجاز وما كان لقريش من علاقات روحية واقتصادية بكل العرب في أنحاء الجزيرة؛ فالجميع يحجون إلى مكة وقوافل التجارة تمر عليها كما يمر القرشيون بمراكز الأنباط وبلادهم في رحلاتهم العديدة المشهورة.

- التشابه الواضح في أسماء الأعلام بين عرب الحجاز وعرب الأنباط.
- وجود أثر النحو العربي في النقوش النبطية. (ولفنسون، 1980 م، صفحة 189).

مخطط (2) نظرية (2) اشتقاق الخط العربي من النبطي

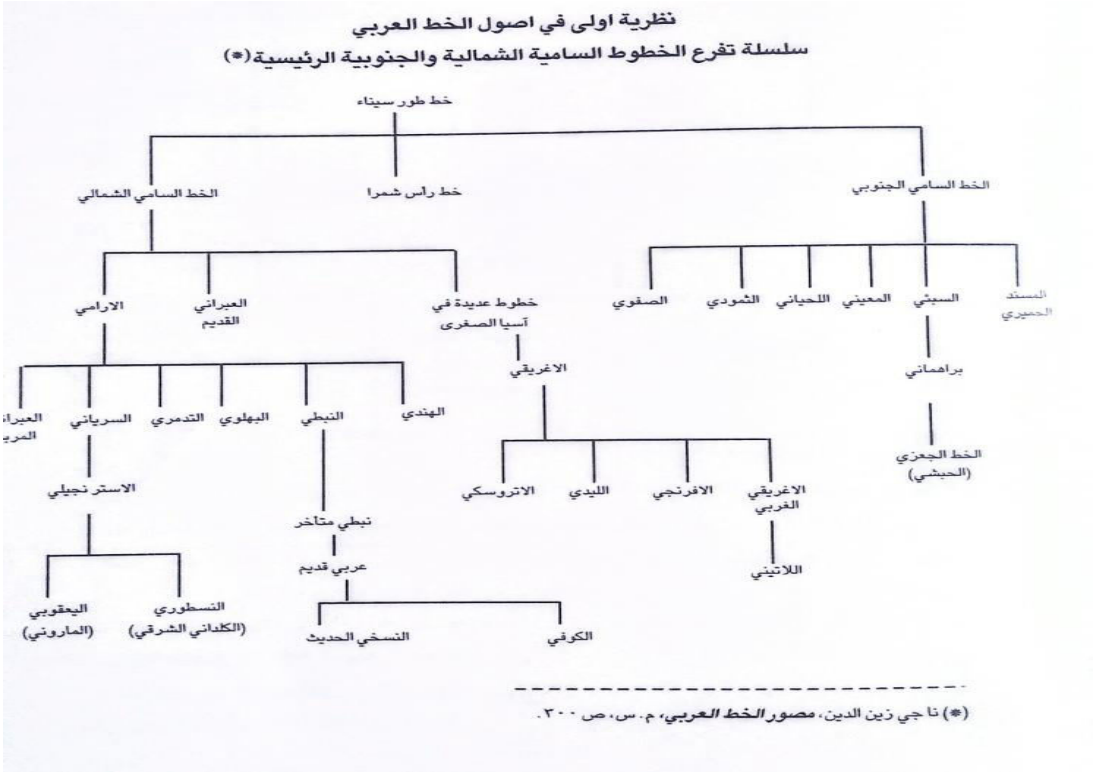

ناجي زين الدين، م س، ص 300.

مخطط (3) نظرية (3) اشتقاق الخط العربي

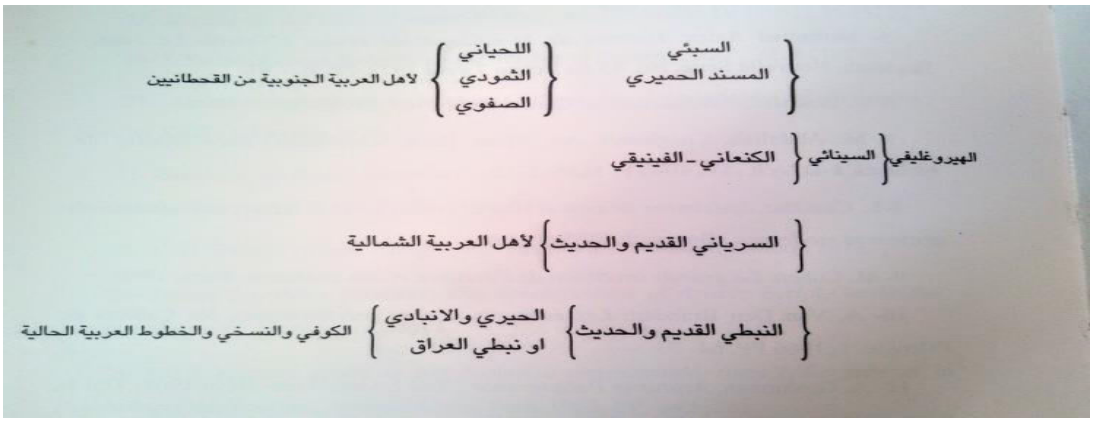

ناجي زين الدين، م س، ص 302.

2 أصول الكتابة العربية في النقوش الأثرية:

وتعتبر الآثار المكتشفة في أماكن مختلفة، أقوى دليل يرجح بين الآراء والنظريات السابقة مما لا يدع مجالا واسعا للاختلاف بينها؛ وإنما يقرب وجهات النظر ويلغي الضعيف منها.

2.1 نقش أم جمال:

عثر على هذا النقش الألماني لتمان في أم الجمال وهي بلدة من أعمال حوران، ويرجع تاريخه إلى سنة 270م. وتكمن خصوصية هذا النقش في أنه يوضح للباحثين شيوع القلم النبطي؛ فاستعماله من طرف ملوك العرب مما يدل على انتشار هذه الكتابة قبل هذا التاريخ، أي قبل سنة 270م. (عباس حمودة، 2000 م، صفحة 53)

وكلماته التي تشبه صورة الكلمة العربية هي:

(سلي) اسم علم (الكلمة الثانية. في السطر الثاني من النقش).

(جذيمت) والكلمة الأخيرة في السطر ذاته.

(ملك) (الكلمة الأولى في السطر الثالث).

ونص النقش بالحروف العربية كما يلي:

1- دنة نفشو فهرو.

2- برشليربو جزيمت.

3- مل تنوخ.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709

وترجمته بالعربية كما يلي:

1- هذا قبر فهرو.

2- ابن سلي مولى جزيمة (جزيمت)

3- ملك تنوخ. (النقشبندي، 1947 م، الصفحات 120 - 123)

ومن الفوائد التي تعود على الباحث في الدرس اللغوي، تفسير مشكلات الكتابة العربية في هذا النقش،كزيادة الواو في كلمة (عمرو) للتفريق بينها وبين كلمة (عمر)بأنها راجعة إلى التأثر بنظام الكتابة النبطية. وفي هذا النقش زيدت في كلمة (فهرو) (عباس حمودة، 2000 م، صفحة 57).

الشكل (1) نقش أم جمال الأول

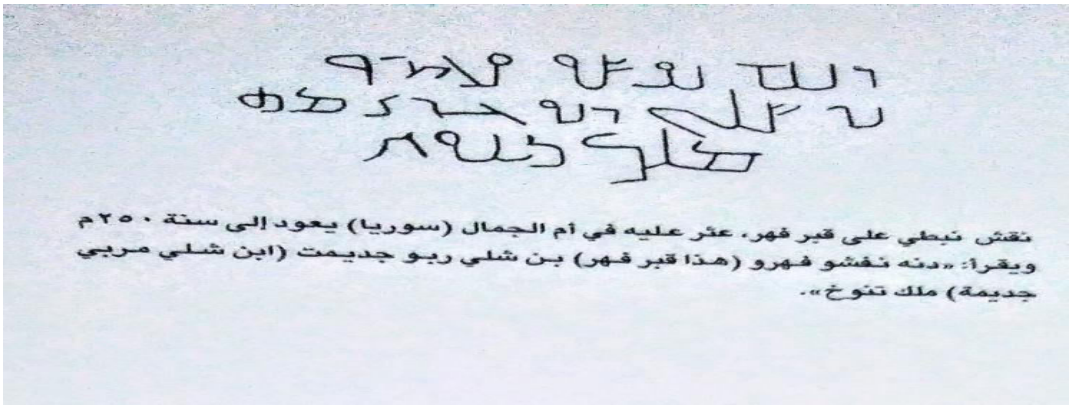

نقش نبطي على قبر فهر، عثر عليه في أم الجمال (سوريا) يعود إلى سنة ٢٥٠ م ويقرأ: «دنه نفشو فهرو (هذا قبر فهر) بن شلي ربو جديمت (ابن شلي مربي جديمة) ملك تنوخ».

فاروق سعد، رسالة في الخط وبري القلم ، ص 54.

نقش أم جمال الثاني

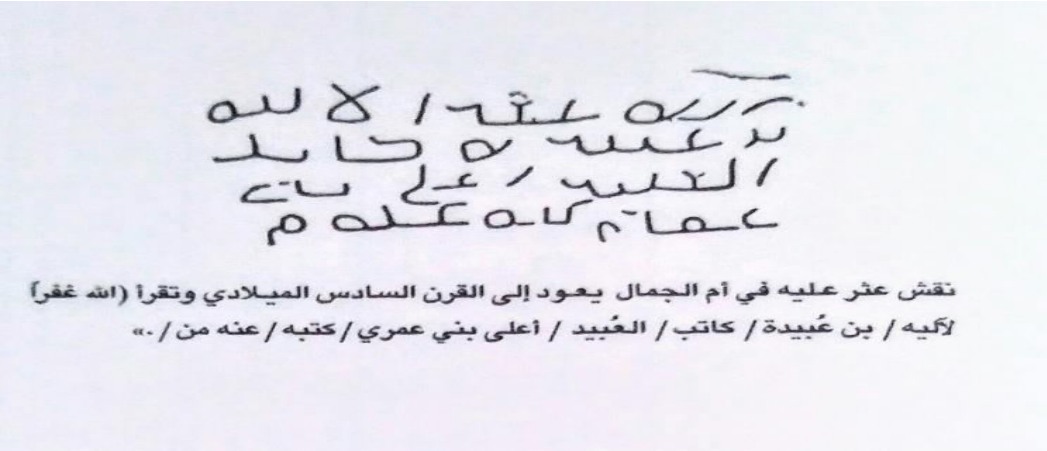

نقش عثر عليه في أم الجمال يعود إلى القرن السادس الميلادي وتقرأ (الله غفراً لأكيه / بن عُبيدة / كاتب / العُبيد / أعلى بني عمري / كتبه / عنه من /.»

فاروق سعد، م س ، ص 55.

2.2 نقش النمارة:

النمارة قصر للروم في الحرة الشرقية لجبل الدروز من محافظة حوران، وهو مؤرخ في سنة 328م. اكتشفه العلمان روسو ومكلر سنة 1901م. وتظهر في هذا النقش بشكل واضح تراكيب عربية فصيحة مثل جملة: فلم يبلغ ملك مبلغه. وأداة التعريف (أل) في كلمة: العرب، والأسدين، والشعوب. مما يدل على سيطرة النفوذ العربي، وعلى انتشار الخط النبطي بين العرب شعبا وملوكا. بالإضافة إلى عربية الكتابة لغة وخطا، يعتبر مرحلة تُظهر في شكل جليّ تطور الخط العربي إذا ما قيس بالنقوش السابقة التي ترجع إلى القرن الثالث الميلادي. (البعلبكي، 1981 م، صفحة 143)

أما على مستوى الدرس اللغوي فقد أفادنا هذا النقش استعمال جمع التكسير كما في "ملوكهم" و "الشعوب". وهو عند أهل اللغة المحدثون أن جموع التكسير في اللغات السامية لا ترد إلا في اللغات الجنوبية، أي العربية بفرعيها الشمالي والجنوبي والحبشية، ويغيب هذا النوع من الجموع في اللغات السامية الأخرى. فجمع التكسير في هذا النقش دليل آخر على خصائصه العربية. (جواد، 1950 م، صفحة 189)

ونص هذا النقش بحروف عربية كما يلي:

1- تي نفس مر القيس بر عمر وملك العرب ذو أسر التاج.

2- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحج عكدي وجا.

3- بزجى في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

4- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- عكدى هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده.

وترجمته إلى العربية كما يلي:

1- هذا قبر (هذه نفس) امريء القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذي نال (عقد) التاج.

2- وملك قبيلتي الأسدين ونزار وملوكهم وهزم (وشتت) مذحجاً بقوته وقاد.

3- باندفاع (الظفر) بانتصار في مشارف (إلى أسوار) نجران مدينة شمر وملك معد وولي واستعمل بنيه أبناءه على القبائل كلهم فرساناً للروم.

4- الشعوب ووكله الفرس والروم . فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- في القوة هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول ليسعد الذي وله. (ولفنسون، 1980 م، صفحة 190).

الشكل (3) نقش النمارة

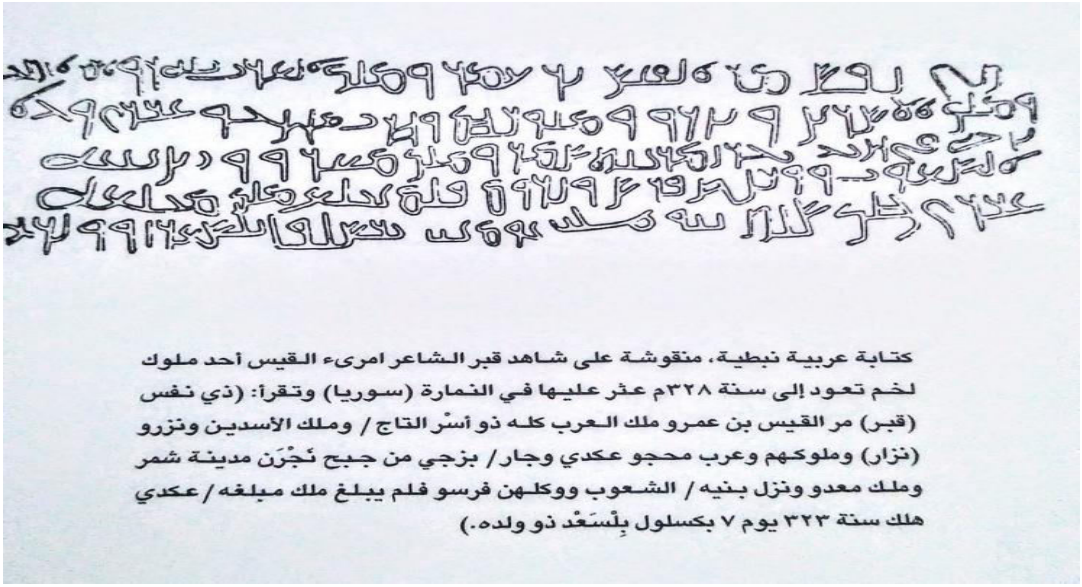

كتابة عربية نبطية، منقوشة على شاهد قبر الشاعر امرىء القيس أحد ملوك لخم تعود إلى سنة ٣٢٨م عثر عليها في النمارة (سوريا) وتقرأ: (ذي نفس (قبر) مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسّر التاج / وملك الأسدين وتزرو (نزار) وملوكهم وعرب محجو عكدي وجار/ بزجي من جبح نَجْرَن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه / الشعوب ووكلهن فرسو فلم يبلغ ملك مبلغه / عكدي هلك سنة ٣٢٣ يوم ٧ بكسلول بِلْسَعْد ذو ولده.)

ولفنسون، م س، ص 190 .

2.3 نقش زبد:

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الثاني عشر : ص ص 345-364 ISSN:2097-2709

وجد هذا النقش في زبد بين قنسرين ونهر الفرات؛ وهو مكتوب بثلاث لغات: اليونانية والسريانية والعربية. ويرجع تاريخه إلى سنة 511م. (ولفنسون، 1980 م، صفحة 190)

وهو أقرب نقش بفترة الإسلام وظهوره، وخطه أشبه بما عرف بعد ذلك بالخط الكوفي، وقد طمست بعض كلمات النقش فتعذر قراءتها. أما سائر كلماته فهي عربية الكتابة وقد اختلف في قراءتها عند الدارسين كلتبرسكي وليتمان. (عباس حمودة، 2000 م، صفحة 55). وقد قرأه بعضهم على النحو التالي:

1- بسم الإله شرحوبر .. مع فيموو ... بر مر القيس.

2- وشرحو بر سعدو وسترو (شر) يحو.

على حين قرأه بعضهم على النحو التالي:

1- ينصر الإله سرجو بر امت منفو وهنئ بر مرئ القيس.

2- وسر جوبر مسعدو وسترو وسريجو.

الشكل (3)

نقش زبد

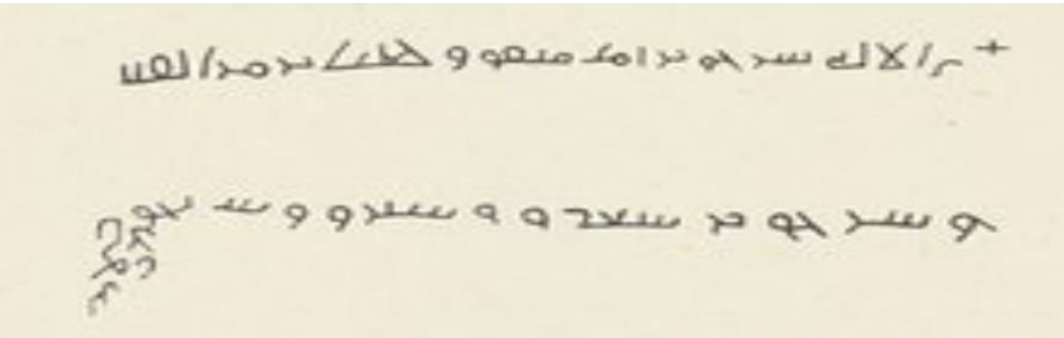

ولفنسون، م س، ص 191.

2.4 نقش حران:

وجد هذا النقش منقوشاً على حجر فوق باب كنيسة بـ"حران اللجا" في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، يعود لأمير من كنده يرحب فيه بالقس يوحنا المعمداني؛ وهو مكتوب بالعربية واليونانية، ويعود إلى سنة 568م. (ولفنسون، 1980 م، صفحة 192) ويرجع أهمية هذا النقش إلى أنه أول نص عربي

من الوقت الجاهلي عثر عليه سليم العبارات والكلمات؛ لذلك وهو أشبه بالخط العربي الكوفي في القرن الأول الهجري. (عباس حمودة، 2000 م، صفحة 56)

وقد استطاع بعض علماء الآثار (ليتمان) الكشف عن مفرداته، وكان نصه العربي على النحو التالي:

1- أنا شرحبيل بر (بن) طلمو (ظالم) بنيت ذا المر طول.

2- سنت (سنة) 463 بعد مفسد.

3- خيبر.

4- بعم (بعام). (جواد، 1950 م، صفحة 190)

واستفاد الدرس اللغوي من هذا النقش في تفسير مشكلة حذف همزة الوصل في كلمة (ابن) في بعض المواضع.كما تفيد كتابته في تفسير بعض ظواهر رسم المصحف مثل: رسم تاء التأنيث المربوطة تاءً مفتوحة كما في سنت (سنة) (ذنون، 1986 م، صفحة 37).

الشكل (4) نقش حران

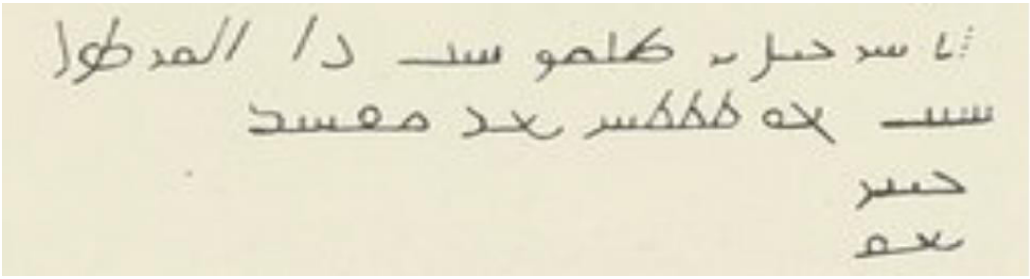

ولفنسون، م س، ص 193.

إذا فتلك هي النقوش التي حملت للباحثين من أهل اللغة المحدثين أو المستشرقين الدليل المادي القاطع الذي لا يدخله شك ولا ريب بأن الكتابة العربية اشتقت من الكتابة النبطية، فالمشابهة بين الكتابتين النبطية والعربية في هذه النقوش واضحة لا تدع مجالا للشك في ذلك.

خاتمة:

نتائج البحث: إن البحث توصل إلى عديد النتائج الهامة، التي أفادت الدرس التاريخي واللغوي على حدّ سواء. فالقول بالتوقيف في نشأة الخط العربي لا يقوم عليه دليل صحيح، وإنما أخبار تناقلها الرواة دون

التأكد من صحة سندها أو اتصاله، لا يمكن للدراسات القديمة أو الحديثة أن تقبلها مجردة من دليل يثبت صحتها. ويبقى التاريخ الأثري أقوى دليل على اشتقاق الخط العربي من النبطي أي شمال الحجاز دون الحميري والحيري أي العراق. ولكن يبقى فترة نشأة الكتابة العربية واستقلالها عن النبطي غير معروف، لعدم وجود آثار مكتشفة بين نقش نمارة وزبد؛ وهي الفترة التي أخذ الخط العربي ملامحه الخاصة به، والمستقلة عن الخط النبطي. ويترك الأمر إلى قابل الأيام وما يكتشف جديدا.

ثم غياب نقوش في مراكز الحجاز كمكة والمدينة والطائف يلغز الأمر أكثر؛ إذ لا يعقل أن تغيب الكتابة عن هذه الحواضر المركزية لبلاد الحجاز، والراجح أن هناك نقوش لكن لم يستطع علماء الآثار الكشف عنها؛ ويعود ذلك إلى عدم تمكن العلماء الأجانب الوصول إلى تلك الآثار؛ بسبب حرمة تلك المدن الدينية التي لا تسمح لغير المسلمين من دخولها، وكذلك ما يشهده الشرق الأوسط من حروب ومشاكل سياسية أجلت إلى حين اقتحام تلك المواقع، والكشف عما تحويه من أسرار ربما تعين الباحثين إلى الفصل في أصل الكتابة العربية خاصة وأن الكتابة العربية التي خط بها المصحف الشريف تضمن كثيرا من الملامح الإملائية، التي تشبه ملامح الكتابة العربية في آخر مراحل تطورها.

توصيات: وبعد كل هذا فلا بد للمخابر العلمية العربية والإسلامية أن تسهم بكل جدية في الكشف والتنقيب عما بقي مستورا ومخبأ في أراضيها من نقوش أثرية حول هذا الموضوع، فهو يخص كتابتها العربية ومستقبلها، حتى تتبوأ مكانتها الحضارية، وإن لم يكن فبتمويل الرحلات العلمية الاستكشافية للمخابر الغربية، وتسهيل حصولها لتراخيص البحث والعمل في تلك المواقع، وهذا أضعف الإيمان.

كما يجب على الباحث العربي التحلي بالموضوعية والتخلي عن العصبية، والابتعاد عن الحجر العقدي الديني الذي يمنع قبول المخالف، بحجة مخالفة الرأي السلفي، وإن كان لا يستند إلى دليل نقلي صحيح أو تأويل علمي.

قائمة المراجع:

1. AZIZA, M. (1972, avril 1 au 7). Hlstoire de la calligraphie arabe. *L'Orient – Le Jour* (43), pp. 2,-7.
2. DRINGER, D. (1965). *WRINTING.* LONDON.
3. أحمد بن يحي البلاذري. (1957 م). فتوح البلدان. القاهرة.
4. إسرائيل ولفنسون. (1980 م). تاريخ اللغات السامية. بيروت: دار القلم.
5. بن عبد العزيز عبد الله. (1973 م). الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها. المورد ، م 2.(2)
6. رمزي البعلبكي. (1981 م). الكتابة العربية والسامية (الإصدار ط 1). بيروت: دار العلم للملايين.
7. زيدان جرجي. العرب قبل الإسلام.
8. زين الدين ناجي. (1968 م). مصور الخط العربي. بغداد.
9. سهيلة الجبوري. (1977 م). أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي. بغداد: مطبعة الأديب.
10. شرف الدين أحمد حسين. (1975 م). اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام. القاهرة: مطابع سجل العرب.
11. عبد الرحمن ابن خلدون. (ب ت). المقدمة. بيروت: دار الفكر.
12. عبد الرحيم هانم. (2006 م). تاريخ الكتابة والمكتبات واوعية المعلومات. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
13. عبد الله بن أبي داود السجستاني. (1405 ه). المصاحف. بيروت: دار الكتب العلمية.
14. عثمان بن جني. (1985 م). سر صناعة الإعراب. دمشق: دار القلم.
15. علي جواد. (1950 م). تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: المجمع العلمي العراقي.
16. فاروق سعد. (1997 م). رسالة في الخط وبري القلم. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
17. محمد بن فارس. (1910 م). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. القاهرة: المكتبة السلفية.
18. محمد بن يحي الصولي. (1341 ه). أدب الكاتب. (محمد بهجت، المحرر) مصر: المكتبة السلفية.
19. محمد بن يعقوب ابن النديم. (1978 م). الفهرست. بيروت: دار المعرفة والنشر.
20. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. (ب ت). القاموس المحيط. بيروت: الرسالة.
21. محمود عباس حمودة. (2000 م). تطور الكتابة الخطية العربية. المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
22. ناصر النقشبندي. (1947 م). منشأ الخط العربي وتطوره لغاية الخلفاء الراشدين. مجلة سومر ، كج 3 (ج1)، الصفحات 120 - 123.
23. ناصف بك حنفي. تاريخ الأدب.
24. يوسف ذنون. (1986 م). مجلة المورد ، المجلد 15.(15)